جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الخامس والأربعون /ج٢
تشرين الثاني /٢٠٢١

جغرافية الحجرية أنموذجا.. خدمات وعطاء لا ينضب من ١٩٦٢الى ١٩٧٥م

الاستاذ المشارك: نجيب قائد عبدالله البناء
جامعة صنعاء...الجمهورية اليمنية/ كلية التربية المحويت
albanafnn@gmail.com

الملخص

مقالنا هذا يخص وضع جغرافية اليمن كيف كانت تعاني تنميتها من هشاشة وتغيب لسنوات طوال مما جعل ابناء اليمن يواجهوا هذا التحدي الجاثم على بيئتهم. وكان لقضاء الحجرية السبق في يقظة أبناءها في أحداث ثورة تغير على ركود حياة وتنمية جغرافية الحجرية كونها كانت أكثر البيئات ركودا في اليمن وذلك لقلة سحنتها الترابية وتردي مناخها وقلة حياتها الزراعية مقارنة مع سكانها، كل هذه المعطيات كانت سببا في طرد ابناء الحجرية إلى الدول المجاورة وتوزعت هذه الهجرات إلى عدن آنذاك المجاورة للحجرية وهجرت أخرى للدول الأفريقية ودول شرق آسيا هذه الهجرات مكنت من إنسان اليمن والحجرية بالخصوص من الاستفادة من تلك البلدان لما تعيشه من تنمية متسارعة من تمدن معاصر حقيقي فتحول هذا الإنسان الحجري وانخرط بكل المهن المكتسبة التي كانت في عاداته وتقاليده. إلا أن عامل الاحتكاك في حضارات تلك البلدان جعلته ينخرط في مهن معاصرة مثل المقاولات والتجارة والصناعة والهندسة والطب والتعليم بجله وغيرها من المهن والحرف التي جعلت من ابناء الحجرية يشرعون في المهجر إلى عدن و دول أفريقيا ودول شرق آسيا وإنشاء أندية وجمعيات وصناديق كل بحسب قدرته وتحويل هذه المبالغ للحجرية لتعبيد وشق وزفلتت الطرقات من تعز للحجرية وبين نواحي قضاء الحجرية وبناء المستشفيات والمدارس وحفر الآبار والمزارع المثمرة هذه الخدمات المنظمة عبر تلك الأندية والجمعيات الأهلية واخرها هيئة التطوير التعاوني غيرت من منوغرافية الحجرية والتي أضحت تمثل بواكير التنمية والتطور في اليمن بشكل عام .

الكلمات المفتاحية: جغرافيا ، يمن، الحجرية ، الهجرة، افريقيا ، عدن .

Abstract

The present study deals with the geography of Yemen, which for a long time, had had a vulnerable, if not lack of, development making it a challenge to its people. Alhujariah district had a leading role in making a renaissance that awakened the life and geography of the territory that used to have the most stagnate environment due to its infertile soil, dry climate, and poor agriculture vis-a-vis its big population. As a result, such hard environment caused the people's migration to the neighboring countries, namely Aden which was the nearest. In addition, they immigrated to some countries in Africa and East Asia. Such emigration enabled Alhujariah people from copying the modern and developed civil life in the host countries to revive their traditional professions. This experience allowed the people to further practice more modernized professions such as construction, trade, industry, engineering, medicine, education, etc. It also encouraged Alhujariah people to immigrate to the above countries, establish forums, societies, and raise funds that would contribute to the development of their native place. The funds financed building road networks that connected Alhujariah to Taiz as well as its towns and villages to each other. They also built schools and hospitals, dogged wells, and made productive farms. Such organizational services sponsored by Collaboration Development Board and other foundations could change Alhujariah's topography to represent the early development all over Yemen

Keyworaks: Geography, Yemen, Alhajariah, Immigration, Africa, Aden

المقدمة ...

الحجرية أرض الحب والعطاء، تنعت بمخلاف المعافر. فهي منطقة جبلية تقع في الجنوب الأوسط القريب للجنوب الغربي لليمن جنوب محافظة تعز وتعد منطقة أهلة بالسكان بحيث يقدر تعداد سكانها بمليون نسمة. وتعد الحجرية أكبر قضاء في محافظة تعز إذ تمتد حدودها على اربع محافظات هي اب وتعز ولحج والضالع ، والمديريات التي تتبع قضاء الحجرية هي :خدير والصلو وحيفان وسامع والشمايتين والمواسط وجبل حبشي والمعافر والوازعية وكلها تابعة لمحافظة تعز وهناك مديريتا المقاطرة والقبيطة واللتان أضحتا تتبعان محافظة لحج .

بينما موضع االحجرية يعد القلب النابض بل روح تعز واليمن ككل بما أنجبت من كوادر عملية وعلمية ومهنية وتجارية وكل الحرف من طبيب ومهندس ومثقف وميكانيكي وسائق وحارسي وطباخ ومقهوي...الخ من العطاء الوطني لليمن (wikipedia).

أن المقحفي في معجم البلدان يقول ان قبيلة مشهورة من كهلان ، هم المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زياد بن كهلان بن سبأ فهم هؤلاء الذين يمثلون جزاء كبير من القبائل الساكنة بالمنطقة المعروفة اليوم باسم : الحجرية في جنوب مدينة تعز هذه القبيلة امتازت بتفوق ابنائها في مجال صناعة الثياب العافرية التي اشتهرت بها في الأزمنة القديمة ولليوم أبناء المعارف يمتازون بمقدراتهم الانتاجية والتجارية في عموم مناطق اليمن وخارجها .إن من اعمال الحجرية اليوم : القبيطة، ومنها الاغابرة والاعبوس والاثاور واليوسفيون والاعروق، ثم المقاطرة، ومنها المكابرة والحوية والآكاحلة والزعازع والزعيمة والاشبوط والحمدة والنجيشة والزريقة، لذلك من المناطق التي تنتمي إليها قطاعات كبيرة من القوى الفاعلة اليوم في المجتمع سواء في مجالات الاقتصاد والتجارة أو المجال الإداري والتعليمي والصحي وكافة مناحي الحياة .لذلك كانت ومازالت الحجرية رائدة منذ بواكير عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي في محاولة إيجاد تفاعل ونشاط على بسيطتها فقد عملت نخب تلك الحقبة في تشكيل جمعيات تعاونية وأندية وكانت هذه الجمعيات والاندية قد برزت في أجيال أبناء الحجرية خصوصا في المهجر من أبنائها إذ كانت هذه الجمعيات والأندية متواجدة في عدن وفي دول المهجر الأفريقي والآسيوي كون الحجرية كانت آنذاك مناطق طاردة للسكان ناهيك عن أسباب وعوامل عدة منها ضيق رقعه مساحتها الزراعية وتردي المناخ فيها فقد عملت هذه الأندية والجمعيات في المهجر في إعادة تنمية البيئة الريفية ممثلة في إيجاد ثقافات ومشروعات وبرامج جديدة في تنمية الحجرية من يومها برزت خدمات التعليم والصحة والطرقات والمياه النقية للشرب والاستخدامات الأدمية وذلك في الأعروق والأغابرة وحيفان وقدس والصنا وذبحان هذه الأندية عكست نفسها في نشاطها بريف الحجرية .وهكذا تطورت إشعاعات هذه الجمعيات والأندية في أربعينيات وخمسينيات الألفية المنصرمة في زيادة خدماتها وذلك في انتشار الطرقات والمدارس والمستشفيات وحفر الآبار وإيجاد خدمات شبه معاصرة من طواحين وسدود ومزارع ومعامل صناعية صغيرة وزادت أكثر مع خمسينيات وستينيات الثورة خصوصا، أما حقبة السبعينيات كانت أكثر وضوحا وجلاء لهذه الجمعيات والأندية والهيئات فمنها من زاد نجاحا ومنها من زاد فشلا وكانت لهيئة التطوير التعاوني للحجرية دور الإشعاع والانطلاق التنموي مع عام ١٩٧٠ فقد عادت بعض النخب من المهجر حاملة معها رياح التغيير الإيجابي

لمحافظة تعز وتربة ذبحان الحجرية خصوصا وعلى سبيل المثال رائد التنوير والفاعل الأساسي في إنشاء هيئة التطوير التعاوني الممثل برائد التنوير التعاوني الشيخ عبدالرحمن احمد النعمان والذي كان أول رئيس هيئة التطوير التعاوني في الحجرية والذي قلب موازين منوغرافية الحجرية إلى انفتاح تنموي نشط من ورش مفتوحة وتنوير وإشعاع وبزيغ أمل وذلك في فك العزلة بين المديريات والقرى في إصلاح الطرقات وأبرزها طريق تعز التربة ونشر العلم والوعي والثقافة وذلك في بناء المدارس النموذجية ومحاربة المرض وذلك في إنشاء المستشفيات المجهزة التي كانت تفتقدها آنذاك المدن الكبرى وأيضا حفر آبار للمياه ومد مدينة التربة بشبكة المياه النقية الصالحة للشرب والاستخدامات الآدمية وإنشاء السدود والبرك وانتشار المزارع وتوفير غالبية ما تحتاجه الحجرية من الأمن الغذائي لمناطق الحجرية وانتشار الطواحين والمصانع والمعامل في تلك الفترة ومن يومها أصبحت الحجرية وتعز المدينة الصناعية الأولى باليمن وأيضا المدينة الثقافية الأولى وأيضا الأولى سكانيا باليمن (المقحفي،٢٠٠١).

خريطة رقم (1) محافظة تعز شاملة قضاء الحجرية بمديرياته.

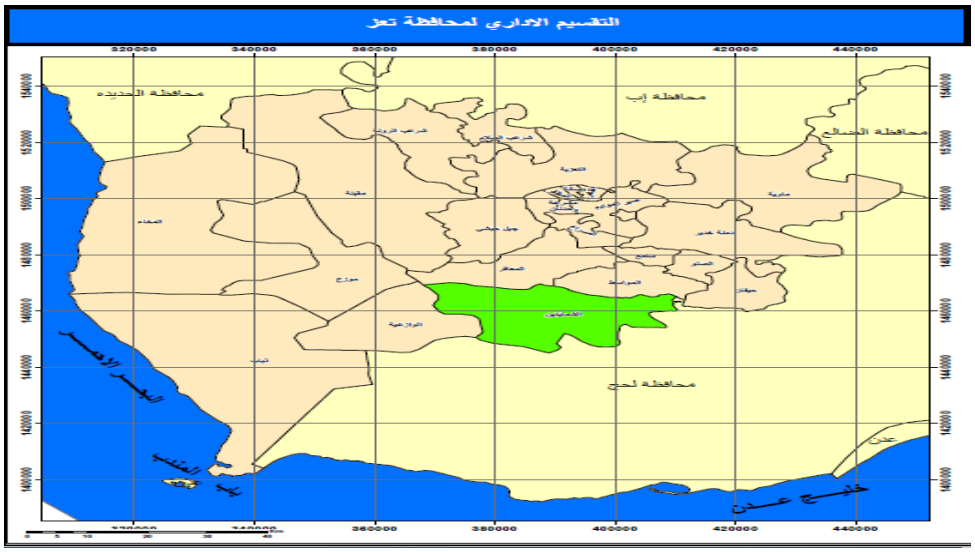

المصدر: المركز اليمني للاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية .

Www.yrsgise.gov.ye.

خريطة رقم (2): الشمايتين وفيها التربة مركز الحجرية ومركز مديرية الشمايتي .

المصدر: المركز اليمني للاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية .Www.yrsgise.gov.ye

١ – الإطار النظري للبحث.

١–١. أشكالية البحث :لقد عاشت الحجرية إهمالا وتهميشا في التنمية والتطور أزمنة وحقب طويلة إلا إن ثورة ١٩٦٢م كانت تحمل جديد لليمن ومحافظة تعز والحجرية هذا الجديد ولد عدت تغيرات قادتها وغيرتها نحو الأفضل في انتشار العلم والوعي والثقافة والخدمات فقد كانت لحقبة السبعينيات بروزا أكثر في نمو الحجرية وذلك ممثل في أول انتخابات لهيئة التطوير التعاوني التي حولت تعز والحجرية إلى ورش وخلية نحل في النمو والتطور في خدماتها وذلك في فك العزلة من طرقات وإنشاء مدارس ونشر المستشفيات والمياه الصالحة للشرب ومدها للمدن وإنشاء السدود والبرك والمزارع والأسواق والمعامل والمصانع مما جعلها المدينة الصناعية والثقافية الأولى باليمن .

٢–١. التساؤلات الثانوية .

– هل الثالوث :(الجهل، الفقر، المرض). كان جاثم على الحجرية؟

– هل البيئة بما تعنيه من سحنة ترابية فقيرة وتردي مناخي وكثافة سكانية كانت سبب هجرة الإنسان الحجري إلى عدن ودول أفريقيا وشرق آسيا؟

٣–١. الفرضيات.

– إن احتكاك الحجرية بجارتها عدن ودول أفريقيا وشرق آسيا جعلها تتأثر بذلك الصيت والتطور مما جعل أبنائها يغامرون ليلا لتلك الحضارات ونقلها للحجرية ومن ثم لليمن.

– إن الكثافة السكانية المتزايدة وقلة الأمطار وفقر التربة من الخصوبة كانت عاملا أساسيا لهجرة أبناء الحجرية للبحث عن الروق.

٤–١. هدف البحث وأهميته.

– أن هذا البحث يهدف إلى توضيح كيف كانت اليمن وخصوصا مجال الدراسة الحجرية جغرافيا أرضا طاردة لأبنائها.

– أن بحثنا وضح كيف أبناء الحجرية تمردوا عن ذلك الثالوث: الجهل والفقر والمرض ،في تحويل وجهة هجرتهم نحو عدن ودول أفريقيا ودول شرق آسيا وكيف وجهوها في تنمية حجريتهم.

٥–١. أدوات ومناهج البحث..

–سيتم استخدام كل ما كتب وما عمل من معالجات بهذا الشأن خصوصا ما قامت به الأندية والجمعيات وهيئة التطوير في إصلاح شأن الحجرية .

– سيتم استخدام كل المناهج والأساليب والتقنيات التي تغني هذا الموضوع من علوم جغرافية الهجرة وإنشاء الأندية والجمعيات والهيئات المختصة في تنمية الشعوب والمجتمعات.

٢– نتائج البحث..

لقد عاشت جغرافية الحجرية رزحا من الأزمنة من ١٩٦٢إلى ١٩٦٩م تهميشا وتجهيلا ؛ فقد كان أبناء الحجرية من قربهم بعدن ودول المهجر الأفريقي ينظرون لمدن الشمال أشبه بقرى ليس إلا مقارنة بما تسمى المدن والخدمات العصرية التي تعيشها عدن ودول المهجر الأفريقي هذا ما جعلهم يفكروا بعمق ابتداء من العامل البسيط إلى التاجر والموظف في كل الخدمات في التفكير في إنشاء صناديق دعم مالي لغرس هذه الخدمات في جغرافية الحجرية وفعلا بداء المشوار في إنشاء المدارس وإيجاد المنهج العلمي المعاصر الذي دهس ثقافة التجهيل العلمي الذي كان لا يخدم تطور وتنمية الحجرية والتعليم من يومها فكروا في إنشاء عمل مؤسسي والذي من ملامحه أولا جمع رأس المال الحجري الذي ارتبطت به كل الأنشطة الاخرى ومنها الثقافية والتعليمية والتي كان أحد أبناء الحجرية أول من أسسها بلمسات عصرية حديثة في الوقت التي كانت جغرافية اليمن يلفها الجهل والتخلف والمرض فلا مدارس ولا مستشفيات ولا طرق ولا مياه نقية...الخ (مطهر، ذكريات عن ٢٦ سبتمبر) .

ففي ثلاثينيات القرن الماضي أسسوا أبناء الحجرية مدامك التعليم المعاصر وذلك في إنشاءات المدارس بمناهجها الحديثة كما أنشأوا النوادي الأدبية والثقافية بطابعه العصري فكانت البرق اللامع التي أضاءت الأرجاء في وقت كان اليمنيين في أمس الحاجة إلى هذا الإشعاع والنور للزمن المعاصر المنخرط في الحياة العصرية. ففي مطلع الثلاثينيات أسس كل من: القاضي عبدالله عبدالاله

الأغبري وأخوه عبدالقادر عبدالاله الأغبري، والأستاذ أحمد محمد النعمان ومحمد أحمد حيدر مدرستي: حيفان والتربية في الحجرية أدخلوا في هاتين المدرستين التعليم الحديث. وكانت هذه المدارس مدعومة من التجار المقيمين في عدن وفي الحبشة والصومال وجيبوتي وظلت هاتان المدرستان حديث الناس ليس في الحجرية أو بقية نواحي تعز أن هذا النوع من العلم يفتح المدارك ويلحقنا بركب التحضر(النعمان،٢٠٠٣). هذا النوع من الإنجاز والخدمات اقتنع به أغلبية أبناء الحجرية كونه يمثل شرف قضية التحاق الحجرية بالحياة العصرية في أنشطتها وثقافتها وخدماتها فما أجملها عندما تنظر وتعيش وتحس في تنازل العامل في حانونه أو الحمال في مينائه عن جزء من قوته الضروري الذي أكتسبه من أجل صالح قضيته الكبرى في إزالة الحجرية من عزلة النمو والتطور والحداثة والمعاصرة ولو كان فلسا وأحدا من العامل الكادح يساوي في القيمة الكثير والكثير، وهناك من انفق الكثير والكثير من رجال الأعمال والتجار ايضا(الصلوي،إصدارات وزارة الثقافة والسياحة،صنعاء)

نلاحظ من هنا أن الحجرية قد قدمت الكثير من الكثير، والقليل من القليل في وقت وأحد معا آنذاك ومازالت حتى اليوم معا، ويكفي الحجرية أنها عمقت وجد أن الوطن بكلمات الفضول وأنغام أيوب ليس في شمال الوطن بل وفي جنوب مؤكدين بثقة صاحب الحق المقدس الوطن اليمن الموحد ...

ملـــؤوا الدنيـــا ابتســـامـــا ورفعوا في الشمس هامـا
هذه الأرض التي سرنا علـــــى صهوات العز فيها وأتينـا
وملكنا فوقـــــها أقـــــدارنا. ونواصيها فشئـنا وابينـــا

لقد كانت الهجرات اليمنية تمثل عبر التاريخ والجغرافيا وأحدة من مفردات اليمن السياسية والإقتصادية والثقافية، منذ وقت مبكر وإلى اليوم وأهمها الهجرة اليمنية في القرن العشرين، يقول أبو العلاء المعري ..

كل ماعلى الأرض كاف بيها.

لو قسموه بينهم بالتساوي(مصدر سابق .الصلوي)

جغرافية البلدان متساوية ومتشابهة أي لا توجد بلدان فقيرة وبلدان غنية لذلك علماء الجغرافية السياسة يؤكدوا أنه لا حقيقة أنه هناك شعوب فقيرة وهناك شعوب غنية إنما هناك أنظمة وسلطات ناجحة وأخرى فاشلة ولذلك الشعوب ذات السلطات الفاشلة تلجأ أبناء شعوبها للهجرة والاغتراب داخليا وخارجيا فقد يصل بهم الأمر للهجرة السرية للعالم الآخر بحثا عن الرزق والأمان أو فيما يسمى الجوا الإنساني أبرزها وأخطرها هجرات مخور عباب البحار والمحيطات المهلكة وهذه الهجرات عانى منها اليمنين في أزمنة مبكرة من القرن العشرين ،فقد زاول المهاجر اليمني مهن شاقة ومعاناة مضاعفة في

جغرافية المهجر وأرض الاغتراب لذلك تبدأ معاناة المهاجر من أول لحظات الفراق الأولى لأهله وداره و تشبثه في الأرض كون تعلق النفس البشرية في الأرض من أصعب الفراق وخصوصا ذكريات أيام الصبا تليها معاناة الطرق وخصوصا قديما قبل تعبيدها وإصلاح مسالك الطرقات .لقد كانت الهجرة والاغتراب آنذاك تمثل انقطاعا كليا أو شبه كلي عن الاهل والدار والخلان ناهيك عن مخاطر الطرقات من وحوش مفترسة وعصابات متقطعة فكانوا يسيرون جماعات ناهيك عن تجاوز خطر البر لمن نجئ يظل يفكر في مخاطر البحر ناهيك عن غرق المراكب التقليدية آنذاك فيما فيها وكانت ترمي بهذه الجثث إلى الشواطئ جثث هامدة ناهيك عن تعرضهم للقرصنة ناهيك أن بعض المهاجرين منهم كانوا يتسللون إلى بعض السفن سرا أو يحشون أنفسهم في البضائع والحمولات دون معرفة قباطنة هذه السفن ويعيش قلق الوصول أو الهلاك أو القبض عليه ناهيك عن غياب التقارب الثقافي بين المهاجر وتلك المجتمعات من لغة وعادات وتقاليد وممارسات كانت تمثل أحد أوجه المعاناة(الاحمدي.٢٠٢١م) .

أيضا كانت من الصعوبات التي وأجهت المغتربين في جغرافية المهجر استغلال رجال الأعمال والتجار الظروف الإنسانية لهؤلاء المهاجرين والمغتربين في زمن لم تكن قد سنت القوانين أو اللوائح التي تنظم شؤون الهجرة والاغتراب واستغلال المغترب وكان اليمنيين نموذج لليد العاملة المضطهدة حتى اليوم في الخليج رغم أن البلدان المنظمة والتي تقدر مغتربيها فإن سفاراتها وقنصليات بلدانها بالمهجر تساعد على استرداد حقوق مواطنيها في بلد الاغتراب.

أن مأساة المغترب اليمني في المهجر إلى جهله بالمهجر كانت هناك أسباب مهمة منها أنه ذهب إلى عالم مجهول لذلك كثير من المهاجرين في جغرافية العالم المجهول انقطعت أخبارهم فمنهم من لقا حتفه في ظروف غامضة إما غرقا بين لج البحار أو تائهين في قيظ الصحاري وبعضهم زج بهم بسجون بلاد المهجر حتى لقي حتفه فيها وحيدا غريبا لا يفهم من بجانبه ولا يفهمه أحد في ظروف إنسانية قهرية لا يجد من يدافع عنه(عبده،٢٠٠٢).

ناهيك عن المعاناة النفسية الاخرى أبرزها عندما وجدوا أنفسهم غير مؤهلين علميا لا يملكون ولا يحملون مؤهلات وشهادات علمية فنية أو تقنية تساعدهم ولوج أي مجال كونهم جاءوا من بلد منغس في الأمية والجهل ولاسيما المهاجرين اليمنيين إلى الهند والصين ودول شرق آسيا فقد كانت عمالتهم لا تخرج عن الحرف والمهن التقليدية في المجالات الخدمية الروتينية كالزراعة والحدادة والنقل والبناء وفي المناجم والسفن وغيرها(مصدر سابق .عبده).

بينما المهاجرين للحبشة واجهوا معاناة من نوع آخر حيث عملت الحامية الإيطالية على تجنيدهم إجباريا في قواتها هذا ما دفع ببعض مجاميع من المهاجرين اليمنيين إلى الهروب برا إلى الأقاليم الشرقية من السودان ومع هذا فإن هذا الهروب مع الأيام خلق لهم مشاكل أستغلها الإنجليز وزج بالبعض بهم بالسجون لأنهم حاربوا مع الإيطاليين ضدهم(القرشي،صنعاء،١٩٩٤م).

ومع هذا ظل اليمني يكافح ويكد مطورا من حرفه ومهنه ولغته حتى أصبح من كبار التجار ورجال المال والأعمال والمثقفين والساسة الكبار في جغرافية المهجر، كل هذا وسع من هجرات اليمنيين من منطقة شرق أفريقيا أو الهند أو دول شرق آسيا فقد وصل المهاجر اليمني في هجرته غربا إلى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية باحثين عن فرص عمل أفضل(مصدر سابق .القرشي) . كل هذا الاغتراب بحثا عن الرزق والحياة الكريمة جعلت بيئة الحجرية القافرة رزحا من الزمن عبر مغتربيها ورجالها قادرين على زراعتها وبنائها مع عودة عوائد أبناءها من المهجر والتي حولتها الى بيئة حديثة ومعاصرة في خدماتها وتنميتها(مصدر سابق . القرشي).لقد أثبت اليمنيون في اغترابهم عن إبداعاتهم وكفاءاتهم .فقد قام المقاول اليمني صالح الجمال إبان الإمبراطور هيلاسلاسي في إثيوبيا في تنفيذ مشروع رصف الطرقات بين مدينتي هآرتس وذردواء بما يقارب مسافة مئة كيلو متر وكان أفضل المقاولين هم اليمنيين رصوا ورصفوا هذه الطريق بالأحجار المصلولة فهي خبرة يمنية حميرية سبئية قديمة (الطيب،٢٠٢١م).

فمن شدة إعجاب الإمبراطور بإبداع هذا المقاول منحة وساما الامبراطورية. في العصر الحديث، بالضبط سنة ١٨٨٤م، تعاقد المقاول الإغريقي (أنجلو كابوتو) مع عمال يمنيين كحمالين في ميناء سواكن لتفريغ السفن المحملة بمواد البناء لخط السكة الحديدية، وكذلك في عام ١٩١٩ شغل البريطانيون أعدادا كبيرة من العمال اليمنيين والتعاقد معهم في بناء ميناء الشيخ برغوث المعروف حاليا بميناء بورت سودان وأيضا في بناء خطوط السكك الحديدية من بورت سودان إلى كسلا وسنار(مصدر سابق .الطيب).

من هنا نلاحظ أن اليمنيين اكتسبوا مهنا جديدة ومتطورة (مضافة إلى المهن التقليدية كصناعة الخبز وافتتاح المطاعم والمقاهي والزراعة والعمل في الحوانيت) تتمثل في نموذج اليمنيين في جيبوتي حيث عمل غالبية المغتربين من الحجرية في بناء بعض مدن ومواني جيبوتي إبان الاحتلال الفرنسي كما عملوا في إنشاء المزارع وحفر الآبار وأعمال البناء الحديثة والمدارس وإنشاء وبناء الجوامع وغالبية المرافق الخدمية وغيرها من هنا يجب علينا أن ننوه بالدور الإيجابي المهم الذي لعبه

المغتربون في نشر كل هذه الإبداعات والتألق في المهجر والتي عكست نفسها في الداخل الحجري والتعزي واليمن(مصدر سابق .الطيب).

إن لهيئة التطوير التعاوني وأثرها على التنمية في الحجرية والتي كانت من ١٩٧٠–الى١٩٧٥م دورا في جغرافية الحجرية وخصوصا منها ذبحان والتي سطرتها مشيخة ال النعمان فقد كانت مشيختهم قد تصدرت كل بيوت المشيخات على مستوى اليمن. ينتسب ال نعمان إلى نعمان بن مقبل بن علي شمسان وصلا إلى الحكم البناء وموطن هذه الاسرة جغرافيا الأصل وادي بنا في النادرة من اب هاجر جدهم الأول إلى الحجرية واستقر في تربة ذبحان وفيها حاز الزعامة الروحية الصوفية وهي الأيديولوجية الثقافية والدينية السائدة في تلك الفترة والمتوارثة عن صوفية الفقيه المجدد احمد بن علوان(ثلاث سنوات من البناء،١٩٧٣م) .

جمعت أسرة آل نعمان جمعت ما بين المشيخة القبلية والسياسة كما تميزوا بسعة الثقافة وإبداعات عدة في مجالات كثيرة منها الشعر والأدب هذه الصفات جعلتهم قريبين من الناس كونها مشيخة مستنيرة مثقفة سياسية عكس المشيخات الجافة والدكتاتورية الأخرى هذه المكانة جعلت من السلطات العثمانية ابان حكمهم لليمن منح عم الاستاذ النعمان لقب بيك ،إن الإيديولوجية الصوفية أكسبت ال نعمان قيم إنسانية وأخلاق نادرة بل توارث الجيل الجديد من ال نعمان الفكر والسياسة والأدب والشعر والعطاء وروح العمل والتواضع(مصدر سابق ،ثلاث سنوات من البناء).من هنا نستطيع أن ننعت الحجرية بعروق التاريخ والجغرافيا كون جغرافية شخصياتها كونت صياغة الشخصية هذا ما يؤكده علماء الانثروبولوجيا فمنها تكتسب الشخصيات طبيعتها وعاداتها وفلسفة حياتها وهذا ما أكده (منتسكيوا)بكتابه الموسم روح القوانين ، هذا ما يؤكد عالم الجغرافيا الشهير(ماكيندر) في نظريته المسماة بنظرية (قلب العالم أو قلب الارض)،بينما يرى (روبرت كابلان)بلورة فكرته التي تنص على(انتقام الجغرافيا).من هنا نستطيع القول إن الحجرية وإلى مطلع القرن العشرين ظلت هي قلب تعز بل روح تعز كون كانت عدن في تلك المرحلة تمثل حاضرة الشرق الأوسط لذلك تشكلت في ذهنية شخصية الشباب الريفي الذي هاجر إلى عدن والذي اندهش مما رأى في عدن مقارنة بمدن الشمال والتي تنعت بمدن ولا صلة للأسماء مما هو حاصل فيها كونها أشبه من قرى كبيرة فقط من هنا تأثر بتلك التحضر والمدنية في عدن والذي نقلها إلى الحجرية (مصدر سابق ، ثلاث سنوات من البناء).

لقد كان للإيديولوجية الصوفية للفقيه والعلامة احمد ابن علوان اليفرسي سبب في منح الحجرية الاستقرار والإبداع من أبنائها بصوفية نقية والتي دعت وحفزت ابناء الحجرية في النشاط والجد

والاجتهاد والإبداع واحترام قيم العمل والحقوق وهذه الصفة لازمت ابناء الحجرية أينما حلوا وارتحلوا مما صار (الحجري) مضربا للمثل في نشاطه وإبداعاته المتعددة والمتنوعة، هذا السلوك وهذه الظاهرة الثقافية الصوفية بكل إبداعاتها الجميلة الإيجابية عكست الحس المدني المتجذر في ابناء الحجرية. من هنا نستطيع أن نقول لا غرابة على أبناء الحجرية في تشبثهم بحجريتهم كونها تمثل لهم وجدانيا بعروق الأرض التي أنبتت لحومهم وعشقهم مكونة منهم نفسيتهم الموغلة والضاربة بتاريخ وجغرافية جذور أجدادهم الأوائل المنحدرة من نسل الملك معارف بن يعفر في القرن. (٧ق،م) والمتصل بكهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ،هذه الألوية الصوفية وما تحمله من ميزات إيجابية والانتماء التاريخي والجغرافي الجميل المتجذر سالف الذكر مثل لأبناء الحجرية صدمة إيجابية. لذلك يقول المؤرخ والفيلسوف البريطاني. (آرنولد توينبي) عما يسميه الصدمة في حياة الشعوب، أو التحدي والاستجابة. فالفرد الذي يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لمدة ما ثم قد يستجيب لها بنوعين من الاستجابة:

الأولى: الرجوع لأغوار الماضي مستسلما فيصبح انطوائيا، لذا تنعت في استجابة سلبية.

الثانية: يتقبلها ثم يقاومها فيتغلب عليها فيصبح انبساطيا، لذا تنعت في استجابة إيجابية.

لقد كانت صدمة ابناء الحجرية تجاه ما حصل لهم من جوع وتهميش وتخلف في عصور مضت صدمة إيجابية ،فلو نظرنا لحركة التاريخ والجغرافيا واحداثهما العظمى في التحولات والصيرورات لوجدناها قائمة أساسا على فلسفة الفعل ورد الفعل .بذلك ستظل جغرافية الحجرية شاهدا حيا مدى الحياة مجسدا بعظمة أبنائها مترعرعا يحكى أمجادا تروى، لذلك يقول الشاعر والأديب والمفكر اليمني عبدالله البردوني أن الإنسان ابن بيئته :(يخرج إلى عادات وقيم يرضعها مع لبن الأم ،ثم تكون سلوكه ،كما يكون منها ضميره الأخلاقي وتقاليد عيشه وأسلوب تفكيره وتعبيره)..(البردوني ،١٩٩٥م).

من هنا أكتسب تجار الحجرية من وقت مبكر روح الوطنية وخصوصا تجار الاغابرة والاعروق كما كانت الحجرية الرافد الأول بالخبرات والكفاءات العلمية والعملية التي انتشرت في شتى بلاد اليمن ما بين طبيب ومعلم وسياسي ومثقف وخباز ومصور وفنان وميكانيكي ...الخ ومعهم انتشرت قيم الحب والعطاء والخير واحترام العمل.

أن هيئة التطوير التعاوني الذي غيرت منوغرافية الحجرية إلى إبداع تنموي معاصر كان عمرها الفعلي ثلاث سنوات من البناء قام بها حفنة من الشباب الموهوبين المثقفين الذين كرسوا أنفسهم إلى المستقبل وفعلا بعزم مرت السنوات وتحققت الأهداف والأماني هكذا ظلت الأحلام تكبر للأعماق وانعكاساتها

على الواقع متفجرة. (زراعة، مياه، طرقات ،وصحة ،ومدارس) أنها حفنة شبابية ذات سواعي ومؤمنة في إخلاص نحو المجد والحرية وفك عزلة ما تعانيه الحجرية. كان هدف هذه الحفنة إنعاش ريف الحجرية بعيدا عن الدخول في المزايدات السياسية ومحاولة الخروج المتزايد من الانغماس في حالة التخلف(مصدر سابق،ثلاث سنوات من البناء) . فتم إنشاء هيئات أهلية تقوم على المساعدات الذاتية في اليمن فمنها ما سميت جمعية خيرية ومنها ما سمي تعاون اهلي ومنها ما سمي هيئة تطوير. شعر اليمنيون أن الجهات الرسمية للدولة رغم رغبتها الصادقة في نهضة جذرية في أوضاع البلد الاقتصادية والاجتماعية أدركوا إلا أنها لا تقوى على العمل السريع والإنجاز الحاسم نظرا للظروف المالية والإدارية الصعبة التي تعيشها البلد، فاتجهت هذه الحفنة في الحجرية نحو انشاء هيئة التطوير التعاونية الأهلية والتي اعتمدت على المساعدات والمجهودات الذاتية. هذه المسميات بعضها كتب لها النجاح وبعضها الفشل وهذا هو قدر الحياة، فقد كان من بين هذه المؤسسات الناجحة في ربوع الوطن: مؤسسات التعاون الأهلي لمدينة صنعاء، والتعاون الأهلي في الحديدة، والتعاون الأهلي في تعز، والتعاون الأهلي في اب، والتعاون الأهلي في أنس، وهيئة التطوير التعاوني في الحجرية(مصدر سابق ، ثلاث سنوات من البناء).

إن هيئة تطوير الحجرية انها لمعت بشكل ملفت ما بين تلك الهيئات والمؤسسات وكان سبب نجاحها راجع لتوفر عوامل كثيرة في إنعاش حركة الريف الحجري وهي:

١- فقد كان من أبرز مكانيزمات النجاح لهيئة التطوير التعاوني بالحجرية احتكاكهم المبكر بالحضارة الحديثة أكثر من غيرهم من ابناء اليمن وذلك راجع لقربهم من حدود عدن البريطانية الأمر الذي يسر لهم سبل الهجرة مبكرا إلى عدن أكثر من إخوانهم في المناطق الأخرى من اليمن .

٢- إن الروح الذاتية لقادة هذه الهيئة عملت على إقناع المواطنين بأن أحدا لا يمكن أن يساعدهم إلا عندما يبدؤون بمساعدة أنفسهم.

٣- إن الهيئة اهتمت وبشكل رئيسي بحل الأزمة الخانقة التي كان يتعرض لها أهالي مركز المنطقة كل عام وهي أزمة العطش فرفعوا شعار (الحرب ضد العطش) هذا الشعار السامي ولدت هبة ترجمة هذا الشعار إلى عمل فتم التغلب على العطش في مدينة التربة مركز قضاء الحجرية.

٤- أقامت الهيئة جسور بين المنطقة والعالم الخارجي بحيث ربطت علاقات جيدة مع هيئات أهلية أجنبية داعمة ومساعدة للبلدان الفقيرة والمحتاجة في البلدان المتخلفة.

٥- إن الهيئة لقت تشجيعا ودعما من رئاسة الدولة ورؤساء الحكومات الخمس آنذاك ومن كل المختصين في الأجهزة الحكومية وكان هذا أبرز عامل لنجاح هيئة التطوير بالحجرية(مصدر سابق،كلمة النعمان،رئيس الهيئة .ثلاث سنوات من البناء،ص٢٥-٣٦).

إن هيئة التطوير التعاوني كان من أبرز ديباجتها والممثلة بدستور هيئة التطوير التعاوني بالحجرية: إحساسا بالحاجة الملحة لمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه منطقة الحجرية وشعورا بالمسؤولية نحو المواطنين في هذه المنطقة وضرورة العمل من أجل حل تلك المشاكل ناهيك عن الطموح بالركب الحضاري والتقدم العالمي وإيمانا بتكاتف الأهالي فيما بينهم ودعم الحكومة في عملها البناء لتطوير البلاد وتخفيفا من الأعباء الجسيمة على الدولة فقد شرعت كبار مشائخ وتجار ومثقفي الحجرية بدعوة من الاستاذ عبدالرحمن احمد نعمان في مدينة التربة يوم١٩٧٠/٥/٢١م في انتخاب اول قيادة للهيئة برئاسة عبدالرحمن نعمان ،وكانت هذه الهيئة مثل غيرها مؤسسة أهلية تقع تحت إشراف مباشر لمصلحة الشؤون الاجتماعية والعمل التابعة لوزارة الإدارة المحلية وكان من عمق أدبيات ومهامها الاتي :

*في المجال الاجتماعي والإنساني: توفير الخدمات الطبية والمحافظة على صحة البيئة.

*في المجال الاقتصادي: شق الطرقات وتطوير الزراعة وتنميتها وإقامة صناعات زراعية وإقامة مراكز سياحية لتنمية صناعة السياحة في المنطقة وتشجيع الصناعات اليدوية المحلية.

*في المجال التعليمي: استكمال المدارس القائمة وإقامة مدارس جديدة في المناطق التي لا توجد بها مدارس والتعاون مع السلطات التعليمية لمكافحة الأمية(مصدر سابق،كلمة سلطان ،امين عام الهيئة.ثلاث سنوات من البناء،ص٢٠و٢١).

لقد كان آنذاك عدد سكان منطقة الحجرية حوالي ٣٠٠٠٠٠ نسمة تقريبا بمساحة تقدر حوالي ١٠٠٠٠كم٢ تقريبا، فقد أنجزت الهيئة آنذاك الاتي:

*مشروع مياه التربة ساعد في إنجاحه كل من وزارة الصحة ومنظمة اليونسيف ومنظمة الصحة العالمية التابعتين لهيئة الأمم المتحدة وذلك بعد أن خطا المواطنون الخطوة الأولى في المشروع.

*إعادة تنظيم وتجديد مستشفى التربة وقد ساعد على إنجاز ذلك بعد مساهمة المواطنين كل من :(وزارة الصحة وهيئة الإعانات التابعة للكنيسة الدانمركية وهيئة الإغاثة الكاثوليكية ومنظمة الصحة العالمية والسكرتارية الدولية لخدمات المتطوعين).

*شق طريق الجرين والذي ساهم فيها المواطنون وبرنامج الغذاء العالمي.

*مشروع مياه الشرب بالجرين بمساهمة شخصية من رئيس المجلس الجمهوري عبدالرحمن الإرياني بتحويل قيمة المضخات ورجل الأعمال الشيخ سعيد عبدالله الاصبحي أحد كبار رجال الحجرية والمساند الأكبر لهيئة التطوير وذلك بمد الأنابيب وإقامة الخزان في منطقة الجرين .

*مشروع مياه الشرب في العفا والمعموق أصابح على نفقة الشيخ سعيد عبد الله الاصبحي والحاج عبدالله محمد صالح.

*مشروع مياه الشرب في اديم على نفقة السيد محمد سيف ثابت.

*مشروع مياه الشرب بالقريشة على نفقة المواطنون القادرين في القريشة.

*تجارب زراعية في كل أنحاء المناطق في الحجرية وقد ساهم في ذلك كل من: التبرعات والهبات والوصايا، والإعانات الحكومية، إذن لقد قامت هيئة التطوير التعاوني في الحجرية في ١٩٧٠/٥/٢١م وسارت رويدا رويدا تشق طريقها من أجل التطوير والنهوض بالحجرية مستخدمة كل الوسائل الشريفة والممكنة لتحقيق غرض التنمية.

*شق طريق تعز الحجرية وسفلتتها والتي مثلت شريان الحياة بين تعز والحجرية بكل نواحي ها وفك عزلة قراها(مصدر سابق .بقية خطابات أعضاء الهيئة .ثلاثة أعوام من البناء).

صورة رقم (1): للتربة مركز الحجرية ومركز الشمايتين .

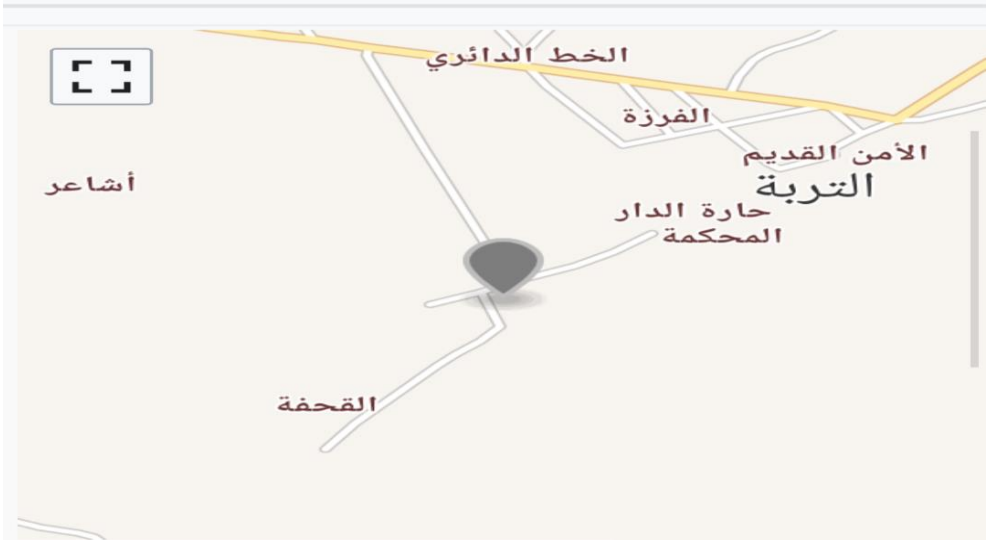

المصدر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا
صورة فوتوغرافية رقم (١) للحجرية وخصوصا مركزها التربة في ٢٠٢١

المصدر:
https://pages.facebook.com/yemdjib/photos/a.1059610044142441/2885629581540469/?type=3&refid=52&__tn__=EH-R

صورة فوتوغرافية رقم (٢): صورة قديمة للحجرية وخصوصاً مركزها التربة

المصدر: https://alsharaeanews.com/wp-content/uploads/2020/07/IMG-20200529-WA0090.jpg

الخاتمة ...

نستنتج من تجربة أبناء الحجرية في مقاومة ثالوث: الجهل والفقر والمرض من خلال الهجرة قصد البحث عن الرزق في عدن المجاورة ودول أفريقيا ودول شرق آسيا ولتي ولدت في ذاتهم نقل التحضر والحياة المعاصرة والمدنية للحجرية وتعز واليمن ككل عبر إنشاء الأندية والجمعيات والهيئات الداعمة للتنمية في الحجرية ومنها لكل ربوع اليمن .

نستخلص كذلك أن الهجرة للداخل والخارج لأبناء الحجرية نمت مشاعرهم واحساسهم بروح الوطنية والانتماء لحجريتهم لتوطين التنمية والخدمات لإنقاذ مسقط رؤوسهم الحجرية وكذلك وطنهم الأكبر اليمن.

المصادر والمراجع .

١- المقحفي،ابراهيم احمد ،معجم البلدان ،دار الكلمة للطباعة والنشر ،صنعاء المؤسسة الجامعية للدراسات ،بيروت ٢٠٠١م.

٢- النعمان،أحمد محمد ،مذكرات سيرة حياته الثقافية والسياسية ،مراجعة وتحرير :د.علي محمد زيد ،مكتبة مدبولي ،٢٠٠٣م.

٣ – الصلوي ،العزي ،الهجرات اليمنية عبر التاريخ إلى منطقة شرق أفريقيا،إصدارات وزارة الثقافة والسياحة صنعاء .

٤- ا لطيب،بلال .جازم الحروي ،صانع تحول ،مركز نشوان الحميري للدراسات والإعلام ،ط:١،يناير ص٢٠٢١م.

٥- الأحمدي،ثابت ،مركز نشوان الحميري للدراسات والإعلام بالتعاون مع وزارة الإعلام والثقافة والسياحة ط:٢٠٢١،١م .

٦- البردوني ،عبدالله ،قضايا يمنية.ط:٥. ١٩٩٦م.

٧- مطهر،عبدالغني :يوم ولد اليمن مجدة ذكريات عن ثورة ٢٦ سبتمبر .

٨- على طريق التقدم في اليمن .هيئة تطوير الحجرية .ثلاث سنوات من البناء .٢١مايو١٩٧٣م.

٩- عبده،علي محمد ،لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين ،المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ومنتدى النعمان الثقافي للشباب .

١٠- القرشي،نزارعبده غانم،جسرالوجدان بين اليمن والسودان،،ط:١،صنعاء ١٩٩٤م .

١١- الطفيلي احمد ،الجغرافية الاجتماعية المفاهيم والمنطلقات ،الناشر :دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر ٢٠٠٩/١/١م.

١٢- ياسر،حارب .البيانات الضخمة .ramadanahla.com.

١٣-دوجلاس موسسشيت.ف.تر.شاهين ،بهاء.مبادئ التنمية المستدامة .القاهرة :الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.٢٠٠٠م.

١٤-احمد ،رحموني .المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ودورها في أحداث التنمية الشاملة في الاقتصاد الجزائري .الجيزة: المكتبة المصرية للنشر والتوزيع.٢٠١١م .

١٥- بومدين ،طاشمة،التنمية المستدامة وإدارة البيئة بين الواقع ومقتضيات التطور (٢٠١٦).

١٦- زعزوع، ليلى ، مقدمة في الجغرافية الاجتماعية ،الناشر :الدار العربية للعلوم .

١٧- غربي ،محمد ،التكامل العربي بين دوافع التنمية المستدامة وضغوط العولمة ،ابن النديم للنشر والتوزيع ٢٠١٤م.

١٨- الأمم المتحدة.أهداف التنمية المستدامة .تم الاسترداد من الأمم المتحدة.٢٧أغسطس.٢٠١٨م.

١٩- علاونة، زياد، المواطنة، -7/5/2021 . www.nimd.org.citizenship.pdf